

الدراسات المتعلقة بتاريخ العصور الوسطى للغرب

جرى العرف بين قدامى المؤرخين من كتاب المدرسة البائدة على اعتبار العصور الوسطى فترة خالية من نور المدنية الحقة كان الفكر البشرى خلالها في حالة ركود لا خير فيه .

ويتضح للقارئ من تصفح جمهرة هذه التآليف العتيقة أن كاتبها إنما كانوا ينظرون إلى تلك القرون العشرة الواقعة بين القرنين الخامس والخامس عشر كما لو كانت قنطرة تصل بين المدنية الرومانية الباهرة وعصر النهضة الزاهر فوق وادى الظلمات السحيق وهو العالم الوسيط .

وقد كان لهذا الاعتبار الغريب أخطر الآثار في توجيه البحث التاريخي الذي اقتصر على التاريخ القديم والتاريخ الحديث ، وظلت الكتابة في تاريخ العصور الوسطى خاملة ذابلة في مجملها ، ولم تهض إلا في مغرب القرن التاسع عشر أو فجر القرن العشرين عند ما أخذ البعض في نشر طائفة من وثائق العصور الوسطى نشرًا علميًا ظهر منه بوضوح تام خطأ النظرية القديمة ، حتى إنه لم يمض وقت طويل إلا وتنبه الوعي التاريخي تنبهًا كاملاً إلى أن العصور الوسطى لم تكن غارقة في بحار الظلام ، وأنها كانت مرحلة لازمة من مراحل الحضارة ، قد تركت طابعها الخالد على تقدم العقل الإنساني وتطور الأنظمة الدستورية ونهضة الفنون والمعمار والأدب والفلسفة وغير ذلك من ضروب النشاط ، فهي إذن جديرة كل الجدارة بعناية الكتاب والباحثين لذاتها ، وهم كلما أوغلوا في دراستها كلما تفتحت أمامهم بين ظهرانيها آفاق جديدة في البحث لا يكاد النظر يحيط بمداهها .

على ذلك أخذت الدراسات الوسيطة المكانة اللائقة بها في علم البحوث التاريخية العامة وفي جامعات أوروبا ، فأنشئت بها الكراسي لتاريخ العصور الوسطى بعد أن كانت خلوةً منها . وكانت النتيجة المباشرة لكل هذا فيضاناً جارفاً من مختلف الكتابات في التاريخ الوسيط يتبعه عقل الطالب فيها . وإزاء

تلك الحركة الواسعة النطاق لم يجد البعض بدأً من العمل على حصر هذه المراجع الوفيرة وترتيبها ترتيباً أجدبياً وموضوعياً لهداية الطالب إلى بغيته كما يتضح ذلك من مجموعات شفالبيه (١) وپوتهاست (٢) ومولينيه (٣) وجروس (٤) وطومسون (٥) وغيرهم كثير . ونظراً لتراكم هذه المادة الواسعة عاماً بعد عام قام المؤرخ بيتوف (١) بتأليف مجلد خاص اضطلع فيه بعمل دراسة تحليلية لأمهات مراجع التاريخ الوسيط المبعثرة في مختلف الفهارس المذكورة ، وبهذا يسهل على الطالب مهمة البحث والعثور على بغيته . وعند نفاذ الطبعة الأولى من هذا الكتاب ألفت الأكاديمية الأمريكية للعصور الوسطى لجنة خاصة من أعضائها فأصدرت الطبعة الثانية منه بعد مراجعتها وتنقيحها وتزويدها بما ظهر من الكتب الجديدة إلى سنة ١٩٣١ ، فكان هذا اعترافاً ضمناً بقيمة ذلك المؤلف ، وهي الآن في صدد إعداد طبعة ثالثة منه تحتوي على الأبحاث الحديثة التي جددت منذ ١٩٣١ إلى الآن .

خلاصة القول أن الدراسات الوسيطة نشطت نشاطاً يفوق حد الحسبان ، حتى إنه لم يمر عام إلا وظهر منها فيه العدد الوفير من الأصول المنشورة والبحوث

- (١) Chevalier, U. Répertoire des sources historiques du Moyen Age.
- a) Bio-Bibliographie. 2 vols. Paris 1877-86. Supplément 1888. 2nd. edition, Paris 1905-7.
- b) Topo-Bibliographie. 2 vols. Paris 1894-1903.
- ويستعرض الأول الأصول مرتبة حسب حياة الأشخاص ، والثاني حسب الأماكن والبقاع .
- (٢) Potthast, A. Bibliotheca Historica Medii Aevi. 2nd. ed. 2 vols. Berlin 1896.
- ويشتمل على أصول العصور الوسطى لغاية سنة ١٥٠٠ م
- (٣) Molinier, A. Les sources de l'histoire de France. Paris 1901-6.
- ويتكون الجزء الخاص بالعصور الوسطى في هذه المجموعة من الستة المجلدات الأولى .
- (٤) Gross, C. The Sources and Literature of English History from the Earliest Times to about 1485. 2nd. ed. London 1915.
- وتعد الأكاديمية الأمريكية للعصور الوسطى طبعة جديدة منقحة من هذا الكتاب في الوقت الحاضر .
- (٥) Thompson, J.W. Reference Studies in Medieval History. 3 vols. Revised edition, Chicago. 1923-24.
- فيه بعض قصور في التفصيلات ولكن له قيمته الخاصة لحدائته النسبية .
- (٦) Paetow, L.J. A Guide to the Study of Medieval History. Revised ed. London 1931.

والعجالات المتفرقة موزعة بين الدول الغربية وفي مختلف لغاتها . وإن سنة ١٩٥٠ لم تشهد عما سبقها من السنين في هذا الميدان ، على أنها بحق كانت عامرة بفيض من التأليف التي شملت الكثير من الوثائق الأصلية ، والأعمال العلمية الكبرى والصغرى ، والبحوث الفردية في موضوعات خاصة محدودة ، مما ألقى ضوءاً وهاجاً على نواح عدّة ومتباينة من تاريخ القرون الوسطى في الغرب .

وإنه لمن العيب أو اللغو أن يدعى كاتب هذه السطور أو غيره أنه يزعم الإحاطة بخدافير هذا الفصل من الأدب التاريخي لعام ١٩٥٠ في مقال ، وإنما الغرض الذي نرمى إليه - وقد نوفق بعض التوفيق في أدائه - بتلك الإمامة السريعة ذو شعبتين : الأولى إرشاد القارئ إلى الأمكنة التي يستطيع الرجوع إليها في البحث عما يهيمه من المؤلفات التي اختصت بإحصاء كل ما يظهر من المؤلفات الجديدة فنشرتها تبعاً عاماً بعد عام . والثانية هي أن نردف ذلك بثبت مختصر ننتخب فيه أهم الكتب التي ظهرت عن العصر الوسيط في تلك السنة لكي يكون في متناول الكثيرين ممن لا حاجة لهم بتفصيل هذا الأدب الواسع الأطراف .

* * *

إن هناك في نظرنا مصدرين رئيسيين لا بد لطلاب العصور الوسطى من الرجوع إليهما للاهتمام إلى كل ما ظهر في سنة ١٩٥٠ من الكتب والبحوث سواء أكان ذلك في مجلدات مستقلة أم ضمن مجموعات متنوعة ومجالات مختلفة : المصدر الأول أوربي ، والثاني أمريكي .

أما الأول فهو : *Revue d'Histoire Ecclésiastique* وعلى وجه أخص العددان الأول والثاني من المجلد السادس والأربعين الصادر في لوفان (بلجيكا) سنة ١٩٥١ . ويقوم بالإشراف على نشر تلك المجلة عدد من كبار أساتذة الجامعة الكاثوليكية بالمدينة المذكورة ، وقد يتبادر للذهن أنها مجلة دينية في طابعها العام ، غير أن اهتمامها الخاص بمصادر التاريخ الكنسي لم يحل ألبتة دون الإمام بكل ما ظهر في ميدان الدراسات الوسيطة الغربية دون التقيد بالمنحى الديني البحث الذي يوحى به عنوان المجلة . ومجموع صفحات العدد المذكور ٧٤٨ صفحة موزعة على أربعة أقسام رئيسيه كما يلي :

(١) سلسلة من البحوث في موضوعات متباينة أغلبها يتصل بالتاريخ

الوسيط (ص ص ٥ - ٢٠١)

(٢) نقد لعدد كبير من الكتب الهامة التي ظهرت خاصة في سنة ١٩٥٠

(ص ص ٢٠٢ - ٣١٢).

(٣) استعراض للنشاط التاريخي والمشروعات التي تتصل بالتاريخ

الكنسي أو الديني في مختلف الدول مرتبة ترتيباً أبجدياً (ص ص ٣١٣ - ٥٢٠)

(٤) أما بقية العدد فثبت واسع بالكتب والبحوث التي ظهرت في تلك

السنة ، وهي مرتبة ترتيباً موضوعياً حسب الفنون والعلوم التي تعالجها ، ويلحق بها تحليل عام للمقالات التي نشرت في مختلف المجالات .

أما المصدر الثاني وهو الأمريكي فهو : *Speculum: A Journal of Mediaeval Studies*. وهذه هي المجلة التي تصدرها الأكاديمية الأمريكية للعصور الوسطى في أربعة أعداد سنوية منها عدد كل ثلاثة أشهر . وفي أعداد المجلد السادس والعشرين الصادر في سنة ١٩٥١ ثبت آخر اختص في هذه الحالة بمراجع التاريخ الوسيط فحسب مما ظهر في أثناء سنة ١٩٥٠ على وجه أخص . ومع أن الأكاديمية الأمريكية للعصور الوسطى هيئة حديثة العهد ، جاء تأسيسها في سنة ١٩٢٥ ، فإنها كادت تبلغ مركز الصدارة من حيث الإنتاج العلمي الجدي المضطرد الزيادة . فإلى جانب المجلدات الست والعشرين من مجلاتها قد نشرت سلسلة من الكتب والبحوث المستقلة من أقلام أساتذة العصور الوسطى الأمريكيين بلغ عددها الآن نحو ستين مجلداً ورسالة ، نبين فيما يلي المجلدات الخمسة الأخيرة من بينها :

1. Emily L. Shields & Harry Blumberg (edd.) *Averrois Cordubensis Compendia Librorum Aristotelis Qui Parva Naturalia Vocantur.* (Vol. VII — *Corpus Commentariorum Averrois in Aristotelem*) Pp. XXIV, 276.

وهو المجلد السابع من شروح ابن رشد على أرسططاليس منقولاً إلى اللغة اللاتينية في العصور الوسطى :

2. Willi Apel, — *French Secular Music of the Late Fourteenth Century.* Pp. 133 & Plates.
3. W.A. Morris & W.H. Dunham, — *The English Government at Work 1327-36.* (Vol. III, *Local Administration and Justice.*) Pp. XVIII, 285.

4. J. Hammer. — Geoffrey of Monmouth : *Historia Regum Britanniae*. Pp. X, 292.
5. Roy J. Deferrari, — Hugh of St. Victor : *On the Sacraments of the Christian Faith (De Sacramentis)*. Pp. XX, 486.

أما المجلة فلا تتناول غير التاريخ الوسيط وعلومه المساعدة ، ويفتح كل جزء من أجزائها بعدد من البحوث والمقالات يتلوها قسم واسع يختص بنقد عدد عديد من الكتب التي ظهرت في هذه المادة ، ويجتم بقاءتتين : إحداهما ثبت بأسماء الكتب الجديدة في التاريخ الوسيط ، والأخرى تحليل عام للبحوث الفردية الصغرى التي ظهرت في مختلف المسجلات العالمية بموضوعات متصلة بذلك التاريخ .

* * *

ومع أن هاتين المجلتين فيهما من المادة ما يكفي لتقدير الموقف العام لدراسة تاريخ العصور الوسطى في الغرب ، ولهداية الباحث إلى منابع الخاصة لأى موضوع معين من هذا التاريخ ، إلا أن ذلك لا يحول دون تسجيل بعض المجلات الأخرى وبعض الهيئات التي قد يكون في نشاطها نفع إضافي للمشتغل أو المتخصص في الثقافة الوسيطة وأدبها التاريخي . ونذكر فيما يلي الأمثلة البارزة من بينها دون تفصيل محتوياتها المتشعبة مما تضيق عنه هذه الصفحات :

1. The Progress of Mediaeval and Renaissance Studies in the United States and Canada. (University of Colorado.)
2. *Medievalia et Humanistica*. (Boulder, Colorado, U.S.A.)
3. *Dumbarton Oaks Papers*. (Washington. U.S.A.)
4. *Byzantina — Metabyzantina*. (New York Society for the Promotion of Byzantine and New Greek Studies.)
5. *Medium Aevum*. (Oxford.)
6. *Camden Series, Transactions and Publications of the Royal Historical Society*. (London.)
7. *English Historical Review*. (London.)
8. *Mediaeval Studies*. (Pontifical Institute of Ottawa, Canada.)
9. *Bibliothèque de l'Ecole des Chartes*. (Paris.)
10. *Le Moyen Age*. (Paris.)

* * *

والآن نختم هذا المقال بثبت لأهم الكتب والأبحاث في تاريخ العصور الوسطى الغربية مما ظهر في أثناء سنة ١٩٥٠ بأوروبا وأمريكا ، وكل مرجع

منها مشفوع بمكان الطبع وعدد صفحاته فقط .

- Halphen L. — A travers l'histoire du moyen âge. (Paris.) Pp. XI 352.
- Beck, M. — Finsteres oder romantisches Mittelalter ? Aspekte der modernen Mediaevistik. (Zurich) Pp. 32.
- Neues, W. — Die Kirche des Mittelalters. (Die katholische Kirche im Wandel der Zeiten und der Volker, T. II.) 2nd. ed (Bonn) Pp. 440.
- Daniel-Rops, H. — L'Eglise des temps barbares. (Les grandes études historiques. Histoire de l'Eglise du Christ, T. II.) New edition. (Paris.) Pp. 776.
- Deansly, M. — A History of the Mediaeval Church 590-1500 A.D. New edition. (London.) Pp. 292.
- Berardis, V. — Italy and Ireland in the Middle Ages. (London.) Pp. 227.
- Lagier, C. — L'Orient Chrétien. T. II : De Photius à l'empire latin de Constantinople. (Paris.) Pp. XII, 610.
- Hampe, K. — Das Hochmittelalter : Geschichte des Abendlandes von 900 bis 1250. New edition. (Munich.) Pp. 439.
- Powicke, F.M. — Ways of Mediaeval Life and Thought. (London.) Pp. 255.
- Cam, Helen. — England before Elizabeth. (London.) Pp. XII 184.
- Coghill, N. — Visions from Piers Plowman. (Oxford.) Pp. 143.
- Hay, D. (ed.) — The "Anglica Historia" of Polydore Vergil, A.D. 1485-1537. (Camden Series LXXIV, Royal Historical Society, London.) Pp. XIII, 373.
- Kelly, Amy. — Eleanor of Aquitaine and the Four Kings. (Harvard University Press.) Pp. XII, 431.
- Walker, Curtis H. — Eleanor of Aquitaine. (University of North Carolina Press.) Pp. XIV, 274.
- Lawrence, Wm. W. — Chaucer and the Canterbury Tales. (Columbia University Press.) Pp. IX, 184.
- Mayer, Th. — Fursten und Staat. Studien zur Verfassungsgeschichte des deutschen Mittelalters. (Weimar.) Pp. IX, 327.
- Boutière, J. et Schutz, A.H. — Biographies des troubadurs : Textes provençaux. (Paris.) Pp. XXXII, 451.
- Bukofzer, Manfred F. — Studies in Mediaeval and Renaissance Music. (New York.) Pp. 324.
- Chadwick, O. — John Cassian : A Study in Primitive Monasticism. (Cambridge University Press.) Pp. XI. 213.
- Durant, Will. — The Age of Faith : History of Mediaeval Civilization — Christian, Islamic and Judaic — from Constantine to Dante A.D.

- 325-1300. (Vol. IV of the Story of Civilization. New York.) Pp. XVIII, 1196.
- Grand, R. — *L'agriculture au moyen âge*. (Paris.) Pp. 740.
- Jacopo di Verona. — *Liber Peregrinationis*. (Rome.) Pp. XXXI, 240.
- Kampf, H. — *Das Reich im Mittelalter*. (Stuttgart.) Pp. 150.
- Sellery, George C. — *The Renaissance : Its Nature and Origins*. (University of Wisconsin Press.) Pp. 296.
- Thomas, Mary E. — *Mediaeval Skepticism and Chaucer*. (New York.) Pp. 184.
- Vasiliev, A.A. — *Buyzance et les arabes*. T. II : *La Dynastie Macédonienne (867-959)* — (Paris.) Pp. X, 440.
- Bréhier, L. — *Le Monde byzantin*. T. III : *La civilisation byzantine*. (Paris.) Pp. XXV, 627.
- Carlyle, R.W. & A.J. — *The History of Mediaeval Political Thought*. Vol. V : *The Political Theory of the Thirteenth Century*. (London.) Pp. XX, 494.
- Folz, R. — *Le souvenir et la légende de Charlemagne dans l'empire germanique médiéval*. (Paris.) Pp. 624.
- Hoyt, Robert S. — *The Royal Demesne in English Constitutional History*. (Cornell University Press.) Pp. XII, 253.
- Hunt, R. and Kilbansky, R. (edd.) — *Mediaeval and Renaissance Studies*. (Warburg Institute, London.) Pp. 189.
- Liebeschütz, H. — *Mediaeval Humanism in the Life and Writings of John of Salisbury*. (Warburg Institute, London.) Pp. 126.
- Coptic Studies in Honour of Walter Ewing Crum*. (The Byzantine Institute, Boston.) Pp. XI, 572.
- Hadjinicolaou, A. — *Recherches sur la vie des esclaves dans le monde byzantin*. (Institut Français d'Athènes.) Pp. 134.
- Smallgrove, Harold S. — *The Lusignans in England, 1247-1258*. (University of New Mexico Publications in History II.) Pp. 96.
- Jones, Charles W. (ed.) — *Mediaeval Literature in Translation*. (New York.) Pp. XX, 1004.

عزیز سوریال عطیہ
 أستاذ تاریخ العصور الوسطی
 بجامعة فاروق الأول